الرسالة الجودية في الآية النوحية

تأليف
عمر الاسبرى المتوفى سنة
١١٩٤هـ

عني بتحقيقها

عبدالله الجبورى

مستل من مجلة كلية الدراسات الاسلامية

العدد الثالث

١٩٧٠

مطبعة العانى بغداد

الرسالة الجودية في الآية النوحية

تأليف

عمر الاسبرى المتوفى سنة
١١٩٤هـ

عني بتحقيقها

عبدالله الجبورى

مستل من مجلة كلية الدراسات الاسلامية

العدد الثالث

١٩٧٠

مطبعة العانى بغداد

تقدمـــة :

القرآن الكريم ، معجزة الدين الاسلامي الحنيف الخالدة ، أنزلـه الله سبحانه وتعالى ، هدى ورحمة للعالمين ، فيه تشريع وحكمة ، جلا بنوره ضلالات القلوب وغشاوات البصائر ، أعجز به فصحـاء العرب العر بـاء وافحم بلغاءهم المصاقع ، وتحداهم بلسان عربي مبين : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[1] .

والقرآن الكريم ، دستور الامة وحصنها المنيع ، المنبع العذب الثر ، الذي صدرت عنه قرائح الاعلام من ابناء الامة في تاريخها الفكري الطويل ، ومنه استقت عقول جبابرة الافكار ، وبه وجـد الفلاسـفة وروّاد المعارف والعلوم ضالتهم .

ففي ظلاله الوارفات ، قامت المعارف والفنون ، ولاجل تبيان كلمـه الشريف نشأت العلوم الاسلامية ، ونمت وترعرعت دوحها فأورقت واثمرت بثمار نضيجات ، كل ذلك لخدمته ، ولتفسير لفظه .

---

(١) الاسراء ــ الآية ٨٨ .

فقد نهد المئات من اعلام الامة لوضع الآثار وصنع الاسفار في تفسيره واعرابه وتبيان غريبه وتأويل مشكله ، فاستوت من ذلك مكتبة قرانية جليلة ، وعرضوا لآيه من كل صوب ، وافرد فنونه علماء بالتاليف ، ودفعهم الواجب الشرعى الى وضع النحو ، والبلاغة ، وما اليها ، واخترعوا ضروب العلوم لفهمه ومعرفة احكامه .. فقامت حوله الدراسات اللغوية ، والمباحث البلاغية ، وانبثّت الفنون الادبية لجلاء روعة تعابيره واسلوبه المعجز ، وعقدوا الفصول الطوال لمعرفة اسراره ، وبالرغم من ذلك كله ، لم تزل فيه جوانب كثيرة تحنّ الى التأليف فيها ، وبسط معالم اعجازه للملأ .

وليس كافيا ما أبدعته قرائح : ابن قتيبة ، والطبرى ، والسمرقندى ، والثعلبي ، والماوردى ، والنيسابورى ، والبغوى ، والنسفي ، والبيضاوى ، والزمخشرى ، والقرطبى ، وابى حيّان النحوى الاندلسى ، والجلال السيوطى ، من القدامى .. والامام الالوسى (خاتمة المفسرين) . ورشيد رضا ـ العراقى الحسيني ـ والهندى ، وفريد وجدى ، وطنطاوى جوهرى ، والقاسمى ، والشيخ قاسم القيسي ، وسيد قطب ـ من المعاصرين والمحدثين ، فى ميادين التفسير .

وليس بغني على وجه الكفاية ، ما أبدعه الامام الجرجانى ، والزمخشرى ، والمصرى بن ابى الاصبع ، والسكاكى ، والباقلانى ، والسيد الشريف ، والتفتازانى ـ قديما ـ والامام الرافعى وسيد قطب ، فى ميادين البلاغة والاساليب القرآنية ـ حديثا ـ .

ولا في ميدان علومه وغريبه ما وضعه ، ابن قتيبة ، والسجستانى ، والراغب ، والزركشى ... الخ . وقد افتنّ فى التأليف ، بآيه مفردة جمهرة من اهل المعرفة من علماء المسلمين ، كما افتنّ من قبل سلفهم فى التأليف فى تفسيره وغريبه ومشكله .

ومن هذه الجمهرة المباركة ، عالم من اهل القرن الثانى عشر ومطالع

القرن الثالث عشر – للهجرة المحمدية – اسمه : عمر الاسبرى ، كان يتولى التدريس بجامع السلطان محمد الفاتح ، والقضاء فى صقع من اصقاع الدولة العليّة ، حيث افرد آية واحدة من آى الذكر المجيد بالتصنيف ، ولما دلّني عليها البحث ، ومكّنني من الوقوف عليها وددت بعثها ، خدمة للغة القرآن الكريم •

المـــؤلف :

هو ، عمر بن علي بن ابراهيم بن خليل ، الاسبرى ، الحنفى ، والاسبرى بكسر الهمزة وسكون السين وكسر الباء الموحدة ، وآخرها ياء مشددة ، للنسبة الى المجرد عنها ، وهى بلدة طيبة فيها جنات واشجار ذات اكمام واثمار ، وهى فى شمال مدينة ارض روم وبينهما مسافة ثلاثة أيام – فى زمن المؤلف – وذكرها ياقوت الحموى فى معجمه ، فقال : اسبرت : بالفتح ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وراء مفتوحة ونون ، مدينة مشهورة من نواحى ارزن الروم بارمينيا ، وزاد عليه صاحب مراصد الاطلاع ، بانها : قلعة[1] وقد نعته مترجموه بالاسبيرى[2] ، بزيادة الياء المثناة على الباء الموحدة وهما ، ومنهم من نعته بالاسيرى[3] •

وقد تخارست مظان ترجمته عن ذكر نشأته ، وسيرته ، فلم تذكر لنا من حياته شيئا يبل الغلة ويشفى العلّة ، الا ايماءا ورمزا ، فذكرت لنا ، انه تولى التدريس بجامع السلطان محمد الفاتح ، ثم وسّـد اليـه قضـاء اسكدار ، واضطربت فى تحديد سنة وفاته ، فمنهم من ذكر انه توفي فى

---

(١) مقدمة الرسالة : ومعجم البلدان ٢٢١/١ مادة (اسبرت) ومراصد الاطلاع ٦٩/١ مادة (اسبرت) ، طبعة علي البجاوى •

(٢) انظر مثلا : ايضاح المكنون ٤٠٧/١ و ٤٠٢/٢ وهدية العارفين ٧٩٩/١ واداب زيدان ٣١٩/٣ ومعجم المؤلفين ٢٩٧/٧ •

(٣) فهرس مخطوطات مكتبة الفاتح ، صفحة ١٧٢ •

سنة ١٢٠٢هـ ، والآخر في سنة ١١٥٠هـ ، وبعضهم ذكر في سنة ١١٩٤هـ[٥] والذي نميل اليه ترجيحا القول الثالث ، وهو سنة ١١٩٤هـ لانه انتهى من تأليف رسالته هذه (الرسالة الجودية) في سنة ١١٧٣هـ •

آثــاره :

كان الاسبري ، من ذوي الثقــافات الموسوعية العــاليه ، تمكن من دراسة جملة صالحة من فنون عصره ومعارفه ، أهّلته للتأليف في انماط جليلة من الموضوعات ، فقد كتب في التفسير ، وفي الفقه ، وفي المنطق وفي الادب ، وغيرها من فنون المعارف والعلوم ، شأنه في ذلك ، شأن علماء المسلمين الاقدمين ـ رضوان الله تعالى عنهم ـ وقد تمكنّا من احصاء الآثار التالية له :

١ ـ سرور قلوب الناظرين في بيان معجزات سيد المرسلين ، مخطوط ـ
١ ـ سرور قلوب الناظرين في بيان معجزات سيد المرسلين ، مخطوط ـ
وتوجد نسخته في مكتبة محمد الفاتح ، في ٥٣ ورقة ، ـ ورقمــه [٣٠٠٥][٦] ، ـ •

٢ ـ حصون المطالب ، في التصرف ، ـ مخطوط ، اوله :« الحمد لله الذي اعطى عباده ارادة جزئية فمن صرفها الى المطالب الاتية نال كرامة كلية •• » اهـ[٧] •

٣ ـ لسان الانسان ـ في المنطق ـ مخطوط ـ[٨] •

---

(٥) انظر معجم المؤلفين ٢٩٧/٧ وهدية العارفين ٧٩٩/١ وآداب زيدان ٣١٩/٣ وايضاح المكنون ٤٠٧/١ وبروكلمان ٢/ ٥٦ والكشاف ٢٨ •

(٦) هدية العارفين ٧٩٩/١ ، وفهرس مخطوطات مكتبة جامـــع الفاتح/١٧٢ ومعجم المؤلفين ٢٩٧/٧ •

(٧) معجم المؤلفين ٢٩٧/٧ وهدية العارفين ٧٩٩/١ وايضاح المكنون ٤٠٧/١ •

(٨) ايضاح المكنون ٤٠٢/٢ وهدية العارفين ٧٩٩/١ •

٤ _ منح الدعوات _ فى الادعية _ مخطوط _ اوله (الحمد لله الذى جعل الاوعية المخصوصة)[٩] .

٥ _ مغنى الاخوان _ فى المنطق _ مخطوط _[١٠] .

٦ _ هدية الحاج فى المناسك _ مخطوط _[١١] .

٧ _ رسالة فى الزكاة _ مخطوط _[١٢] .

٨ _ رسالة فى مسائل الصنف الاول من ذوى الارحام _ فى الفقه ، مخطوط _[١٣] .

٩ _ فرحة الفؤاد _ (خلاصة تاريخ الدولة العثمانية الى سنة /٩٧٤هـ وعلمائها) _ مخطوط _ نسخته فى مكتبة منشىء ورقمه [٤٢٥][١٤].

١٠_ الرسالة الجودية فى تفسير آية فى قصة النوحية _ (هذه الرسالة) وسنعرف بها بعد قليل .

١١_ الشرح المفيد على ديباجة الجودية _ مخطوط _[١٥] .

١٢_ كشف تقريض .

١٣_ رسالة فى الفرائض .

١٤_ رسالة حمدية .

١٥_ رسالة نحوية .

١٦_ رسالة صرفية .

١٧_ رسالة فى الاعتراض .

---

(٩) هدية العارفين ١/٧٩٩ وايضاح المكنون ٢/٤٥١ .

(١٠) هدية العارفين ١/٧٩٩ وايضاح المكنون ٢/٤٥١ .

(١١) هدية العارفين ١/٧٩٩ .

(١٢) هدية العارفين ١/٧٩٩ ومعجم المؤلفين ٧/٢٩٧ .

(١٣) هدية العارفين ١/٧٩٩ ومعجم المؤلفين ٧/٢٩٧ .

(١٤) تاريخ آداب اللغة العربية جرجى زيدان ٣/٣١٩ ط/الهلال و Brockelmann 2:565.

(١٥) هدية العارفين ١/٧٩٩ .

١٨- شرح الصحائف .

١٩- جمع ما آراب .

٢٠- فرح زاهدين .

٢١- دوائر حصون .

٢٢- شرح الحزب الاعظم .

٢٣- رسالة معجزة .

٢٤- اذكار الحج .

٢٥- رسالة فى القياس الاستثناء .

٢٦- ايضاح تقريض عباس أفندى[١٦] .

٢٧- رسالة فى التعبيرات - مخطوط - فى مكتبة ولى يكن فى استانبول ، ورقمه [٩٥] ، ويقع فى اثنى عشرة ورقة[١٧] .

الرســالة :

ذكر الرسالة كل من : صاحب هدية العارفين وايضاح المكنون ، وعمر رضا كحالة ، وبروكلمان[١٧] .

ونسختها الوحيدة ، على ما توصل اليه البحث والتنقيب ، هى هذه النسخة ، والمحفوظة فى خزائن مكتبة الاوقاف العامة ببغــداد ، مرقـومة [٤٠٠٢] ، آلت اليها وقفا من موقوفات جامع المرحوم السيد محمد أمين[١٨] الباجه‌جى ، البغدادى أحد محسنى بغداد وتجارها الابرار .

---

(١٦) الرسائل من الرقم ١٢ - ٢٦ ذكرت اسماؤها فى أول الصفحة من الرسالة . ولم تذكرها مظان ترجمته .

(١٧) فهرس مكتبة ولي ، صفحة/٩٥ .

(١٧) هدية العارفين ١/٧٩٩ وايضاح المكنون ١/٤٠٧ ومعجم المؤلفين ٢٩٧/٧ و : ه

(١٨) تهذيب مساجد بغداد (صفحة ٤٠) .

والرسالة لطيفة ، مذهبة ، تقع فى ثمانى ورقات ، مقسها الطول = ٢٠ سم والعرض ١٣ سم وفى أولها سر لوحة جميلـة جدا ، وفى كل صحيفة واحد وعشرون سطرا ، وخطها جيد ، وقلمها المعروف بالنسخ ، فرغ من تأليفها فى سنة / ١١٧٣هـ ، أما سنة نسخها فهى ، ثمان وثمانون ومائة والفـهـ ، ناسخها مجهول ، واغلب الظن انها بخط المؤلف ، تكثر على هوامش بعض صفحاتها التعليقات المفيدة ، مجلدة تجليدا لطيفا •

وقد شاء المؤلف ان يطرّز رسالته بجملة تقريضات لطيفة ولاهميتها ، نثبتها هنا :

تقريض شيخ الاسلام المرحوم ولى الدين افندى :

مجلة مفيدة فى فنون عديدة معانيها مشروحة ببيان النقول ، جامعة بين المنقول والمعقول ، وذاك حري ان يتلقى بالقبول •

تقريض المرحوم كاتب زاده محمد رفيع أفندى
حكيم باشي القاضي بعسكر اناطولى

مجلة جليلة ، ومجلدة جميلة لله درجا معها حيث احسن واجاد لازالت مفيدة الى يوم التناد ••

تقريض شيخ الاسلام قره بكر أفندى
زاده احمد افندى •

مجلة تتكون فى اصداف حروفها لآلى المنقول وتجرى من انهـار سطورها عيون المعقول جعل الله سعي مؤلفها مشكورا وانال ما يتمناه موفورا •

تقريض المرحوم قره بكر افندى عثمان افندى
القاضي بعسكر اناضول •

روض الفنون كل حز بما لديهم فرحون ، فلقد ابدع منشئه فيمـا ابدى وأفاد واغنى ،•

تقريض شيخ الاسلام ميرزا محمد سعيد افندى حضرتلرى •

اثر منيف وجمع لطيف لله درجا معه حيث بيّن وأفاد واحسن واجاد.

تقريض رئيس العلماء بعسكر اناطول

ابن الوزير ابراهيم .

حديقة لاثمار الفوائد جامعة ، وازهار النكات فيها كالثريا لامعة ، فعامل الله باللطف من ابدعها حيث اتى بغاية ما سعى ..

تقريض المرحوم عباس افندى القاضي بعسكر اناطول

ولقد حمل من كل الفوائد والشوارد فى فلك آماله ما يشهد لغزارة فضله وسعة اطلاعه وكماله ، وهى تجرى به فى موج امله وامنيته رجاء ان له نصيبا مفروضا بحسن صناعته وصحة قضيته ، وقد اجراها وارساها حتى استوت على الجبال الجودية من هو جامع لاشتات الفضائل وللرسالة الجودية فالله يجعلها وصلة الى ما يأمل ويرجوه وقد ورد : اطلبوا الخيرات عند حسان الوجوه ،.

تقريض المرحوم اسماعيل افندى حكيم اوغلى علي باشا زاده

القاضى بدار الخلافة .

اثر فى فنه غريب وترتيب فى صنفه عجيب منطو على اللطائف من الفوائد مشتمل على الغرائب من الفرائد ، لا زالت وثائق آمال جامعة موشحة بامضاء الحصول وقبالة اقباله معنوة بعنوان القبول ،.

موضوع الرسالة :

والرسالة فى تفسير الاية الكريمة : « وقيل يا ارض ابلعي ماؤك ويا سماء اقلعى وغيض الماء ... » .

وقد جمع مؤلفها ما جاء فى كتب المفسرين القدامى والذين تناولوها من الوجهة البلاغية ، كالامام الزمخشرى ، والسكاكى ، والتفتازانى ، وغيرهم ، وقدمها هدية الى الوزير ابراهيم السليم .

كما اقتطف شيئا من ثمار كلام علماء التفسير ، والفقه ، في وجوه اعجاز هذه الآية الكريمة ، وابان فيها عن سر اعجازها ، وفسّر الوجوه البلاغية التي انطوت في تضاعيفها ». فلطرافتها وجدة موضوعها اقدمت على نشرها ، خدمة للغة القرآن العظيم ، ولتبصرة الجيل المعاصر بعظمة آثار السلف ».

مؤلفون آخرون عرضوا لهذه المسألة :

ولجلالة هذه الاية الكريمة وحلاوة نظمها وعظمة اعجازها ، عرض لها علماء افاضل ، وافردها غير واحد بالتأليف ، عرفنا منهم العالمين الفاضلين ، وهما :ـ

١ ـ أولا :

قوام الدين يوسف بن حسن الحسيني ، الشيرازي ، الرومي ، الحنفي ، قاضي بغداد ، وهو متكلم اصولي ، فقيه ، مشارك في بعض العلوم ، سكن بغداد ، وتولى قضاءها مدة ، ثم رحل الى اردبيل ، ثم الى ماردين ، ثم رحل الى بلاد الروم فعين مدرسا في بروسة الى ان توفي فيها ، وذلك في سنة / ٩٢٢هـ / ١٥١٦هـ له آثار جليلة منها :

شرح نهج البلاغة ، كفاية الراوي والسامع ، حاشية في مبحث الاغلاط الحسية من كتاب المواقف للايجي في الكلام ، ورسالته المغنية في تفسير قوله تعالى : « وقيل يا ارض ابلعي ... »(١٩) .

٢ ـ ثانيا :

العلاّمة الشيخ علي علاءالدين الموصلي ، استاذ ابى الثناء الآلوسي ،

---

(١٩) انظر ، كشف الظنون ١/٩٠١ والكواكب السائرة ، للغزي ١/٣١٩ وشذرات الذهب ٨/٨٥ والشقائق النعمانية ١/٤٦٩ ، ومعجم المؤلفين ١٣/٢٩١ والاعلام ٩/٣٠٠ .

والمتوفى سنة / ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م وصفها ابو الثناء بقوله : « جمع فيها ما ظهر له ووقف عليه من مزايا ، فبلغ ذلك مائة وخمسين مزية » •

والذى يؤسف له ، ان هذه الرسالة قد اتى عليها طوفان الفقدان ، وللمؤلف آثار جليلة منها :

١ - رسالة على القاموس المحيط ، وهي مفيدة ونافعة ، ونسختها المخطوطة موجودة في آخر المجموعة الصغرى للامام ابى الثناء الآلوسى ، وهى الآن فى خزانة الاستاذ عباس العزاوى ، انتقلت اليه فى جملة مخطوطات ابى الثناء التى استولى عليها •

٢ - رسالة فى شرح البيتين الاتيين :

من قصر الليل اذا زرتني　　اشكو وتشكين من الطول
عدوّ عينيك وشانيهما　　أصبح مشغول بمشغول

وللسيد علي علاءالدين ، ترجمة وشيىء من شعره فى المظان التالية :

١ - حديقة الورود - مخطوط مصور - المكتبة المركزية لجامعة بغداد •

٢ - المسك الاذفر ١/١٢٢ - ١٢٥ •

٣ - تاريخ الادب العربى فى العراق ، لعباس العزاوى •
٢/٤٩ ، و /٣٠٧ •

نظرة عجلى فى الآية الكريمة :

اشباعا لمبحث هذه الرسالة ، وددت ان يقف القارىء على مكنون اسرارها واقوال جهابذة المفسرين ، قدامى ومعاصرين ، فيها •

فنقول وبالله التوفيق :

ان الآية الكريمة ، من سورة هود ، ورقمها /٤٤ ، وسورة هود ، مكية ، وعدد آيها مائة وثلاث وعشرون ، /١٢٣ آية ، وبعضهم قال ، هى مكية الا آية واحدة ، هى قوله سبحانه وتعالى : « واقم الصلاة طرفي

النهار .. » فانها نزلت بالمدينة ، والقول الاول أرجح ، وقد نزلت بعد سورة يونس[٢١] ، والسور المكية ، تتسم بالطابع القصصي ، وهي بجملتها تتكفل بالموضوعات العقائدية ، وموقف مشركي مكة من الدعوة ، والقصص فيها هو جسم السورة ، وفيه استعراض حركة العقيدة الربانية في التاريخ البشري وهو الهدف الظاهر ، وفيه يصدق ذلك الترغيب في حركة العقيدة على مدار التاريخ ، من مصارع الطغاة المكذبين ، ونجاة المؤمنين[٢٢] .

ووجه اعجازها يكمن في النظم والمعنى ، حتى قيل ، لو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة رصفها واشتمال المعاني فيها .

وقيل ان ابن المقفع لما عرض القرآن الكريم ، ووصل الى هذه الآية الكريمة امسك عن المعارضة ، وقال : هذا كلام لا يستطيع احد من البشر ان يأتي بمثله[٢٣] .

وقد عقد لها ابن ابي الاصبع المصري ، فصلا في كتابه « تحرير التحبير » ، وقال ان فيها عشرين ضربا من البديع ، من الاستعارة ، والمجاز ، والحقيقة ، والارداف ، والتمثيل ، والتعطيل ، ونحوها ، مع سبعة عشر لفظة[٢٤] ..

وان الحس يدل على عظمة الارض والسماء وشدتهما وقوتهما ، فاذا شعر العقل بوجود موجود قاهر لهذه الاجسام العظيمة مسؤول عليها متصرف فيها كيف شاء ، حينما خاطب سبحانه وتعالى هذه الجمادات ،

---

(٢١) مجمع البيان ١٤٥/٥ والقرطبي ٤٢/٩ وفي ظلال القرآن ٦/١٢ والنظم الفني في القرآن/١٤٤ .
(٢٢) في ظلال القرآن ١٢/١٢ ، ١٨ ، والنظم الفني في القرآن ١٤٤ .
(٢٣) البحر المحيط ٢٢٨/٥ .
(٢٤) تحرير التحبير ١٩٨ ــ ٢٢٢ ، وروح المعاني ٦١/١٢ .

بقوله : « وقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعى ... » . وذاك مشعر بحسب الظاهر على ان امره وتكليفه نافذ فى الجمادات فعند هذا يحكم الوهم ، وهو سبحانه ، يقرر نوع عظمته وجلاله تقريرا كاملا ، وقضاؤه جار حتما وجزما ، وانه لا دافع لقضائه ولا مانع من نفاذ حكمه(٢٥) .

اما الاحكام التى تكلفت بها هذه الآية ، والتى قامت على صورةالقصص فهى كثيرة ، منها : تبيان مدى نفاذ أمره المسجّل فى اللوح ، وانجاء انبيائه ورسله ، واهلاك المكذبين بالرسل ، وثمرة صبر الصابرين المصابرين على الويل والبلاء .

قال اهل التفسير ، ان نوحا عليه السلام ، لما تلقى أمر ربه بصنع الفلك ، قيل ، ركب فيها اول يوم رجب ، فصام هو ومن معه ، من الانس والبهائم ، وفيها من كل زوجين اثنين ، جرت بهم السفينة ستة اشهر ، وقيل طافت بالبيت الحرام سبعة ايام ، حتى رست بهم على الجودى ، بعد ان تشامخت الجبال ولم يتواضع منها جبل الا الجودى ، فاكرمه الله سبحانه ، بارسائها عليه ،.. وكان استواؤها عليه فى يوم عاشوراء ، وقيل فى يوم الجمعة ، وصام نوح ومن معه ايضا ، شكرا لله على النجاة(٢٦) . أما قول العلماء فى غرق الكفار من قوم نوح ، بما فيهم الاطفال ، حتى شمل الدواب ، ففيه اقوال :

١ ـ القول الاول :

قيل ان الله سبحانه ، اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة ، فلم يغرق منهم الا من بلغ الاربعين(٢٧) .

٢ ـ القول الثانى :

وبه يقول المعتزلة ، وملخصه : ان الله تعالى ، اغرق الاطفال

---

(٢٥) تفسير الرازى ٥/٩٢ .
(٢٦) الرازى ٥/٩٢ وزاد المسير ٤/١١٣ وروح المعانى ١٢/٥٧ .
(٢٧) الرازى ٥/٩٢ .

والحيوانات ، وذلك يجرى مجرى اذنه تعالى ، في ذبح هذه البهائم ، وفي استعمالها في الاعمال الشاقة[٢٨] .

٣ ـ القول الثالث :

قيل ان الله سبحانه ، اهلك الولدان بالطوفان ، كما هلكت الطير والسباع ، وماتوا بآجالهم[٢٩] .

وقيل لم ينج احد من الكفار ، الا عوج بن عوق ، وسبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشب ساج ، فلم يمكنه نقله ، فحمله عوج . من الشام اليه فنجاه الله تعالى من الغرق ، وقيل ، كان الماء يصل الى حجزته[٣٠] .

تفسيرها اللغوى :

قوله تعالى ، ابلعى ، اى انشفى ، استعير من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجى ، وتخصيص البلع بما يؤكل هو المشهور عند اللغويين[٣١] .

قال الليث : بلع الماء : اذا شربه ، يقال ، بلع بكسر اللام ، ويبلع بفتحها ، ومنه اشتقاق ، البالوعة : الموضع الذى يشرب الماء ، والبلع ايضا : اجراء الشيء في الحلق الى الجوف[٣٢] .

اقلعي :

الاقلاع : اذهاب الشيء من اصله حتى لا يرى له أثر ، فقوله ، أقلعي : اى امسكى عن ارسال المطر ، يقال ، اقلعت السماء ، اذا انقطع مطرها[٣٣] .

---

(٢٨) الرازى ٥/٩٢ وزاد المسير ٤/١١٣ .
(٢٩) القرطبى ٩/٤٢ .
(٣٠) روح المعانى ١٢/٥٧ .
(٣١) مجمع البيان ٥/١٤٥ وروح المعانى ١٢/٥٧ .
(٣٢) مجمع البيان ٥/١٤٥ والقرطبي ٩/٤٢ .
(٣٣) مجمع البيان ٥/١٤٥ وروح المعانى ١٢/٥٧ .

وغيض الماء : يقال ، غاض ، اذا نقص ، وغاضه ، اذا نقصه[٣٤] ،

وقضى الامر : اى انجز الله وعده نوحا من اهلاك كفار قومه ، وانجائه واهلـه ومن معه من المـؤمنين ، وغرق من غرق ، ونجـا من نجـا[٣٥]

واستوت على الجودى[٣٦] .

استوت : رست .

والجودى ، قرئت ، بتشديد اليـاء ، وتخفيفها ، وهما لغتـان ، والجودى : اسم جبل ، قيل موضعه فى الجزيرة ، وقيل بآمد ، وقيل بالموصل ، وهو المشهور ، وقيل : الجودى : جبل بالجنة ، وقيل ، اسم لكل جبل وارض صلبة[٣٧]

قال زيد بن عمرو بن نفيل[٣٨] :

سبحانه ثم سـبحانا يعـــود له وقبلنا سبّح الجودى والجمـد[٣٩]

والجمد : جبل لبني نضير بنجد ، وينسب الشعر لورقة بن نوفل ،

---

(٣٤) غريب القرآن / ١٥١ وتحفة الاريب / ٩١ .
(٣٥) تأويل مشكل القرآن / وروح المعانى ١٢/٥٧ .
(٣٦) مجمع البيان ٥/١٤٥ وغريب القرآن للسجستانى / ٧٠ وتحفة الاريب / ١٨ .
(٣٧) تأويل مشكل القرآن / ٢٠٤ ، ومجاز القرآن ١/٢٩٠ ومجمع البيان ٥/١٤٥ ، وزاد المسير ٤/١١٢ ، وياقوت الحموى ٣/١٦٢ مـــادة (جودى) ، واللسان والتاج ، مادة (جود) ، والقرطبى ٩/٤٢ ، وروح المعانى ١٢/٥٧ .
(٣٨) مجاز القرآن ١/٢٩٠ ومجمع البيان ٥/١٤٥ ، والقرطبى ٩/٤٢ .
(٣٩) ياقوت الحموى (جودى) ونسبه له ، واللسان (جود) نسبه لامية ابن الصلت ، والخزانة ٢/٣٧ ، والكتاب ١/١٣٦ ، والتاج ، مادة (جود) .

وزيد هذا هو والد سعيد بن زيد ، احد العشرة المبشرين بالجنة[٤٠] ، وبعضهم نسبه (البيت) لامية بن ابى الصلت[٤١] .

اللغات التي جاءت فى هذه الآية :

تناول مؤلفو غريب القرآن الكريم ، ألفاظ هذه الآية الكريمة ، بالدرس والتدقيق ، وافردوا منها اللغات الاعجمية التى وردت فيها ، على روايات من قال : ان القرآن العظيم وردت فيه الفاظ غير عربية ، ومن هذه اللغات[٤٢] :

١ ـ اولا : ابلعي .

البلع : الازدراد ، وقيل بمعنى الشرب ، وهى لغة هندية[٤٣] .

٢ ـ ثانيا : اقلعى .

الاقلاع : الحبس ،، وهى وافقت لغة الحبشة[٤٤] .

٣ ـ ثالثا : غاض .

وغيض الماء ـ اى نقص ، وهى وافقت لغة الحبشة[٤٥] .

غرة شهر رمضان المبارك

١٣٨٨هـ

عبدالله الجبورى

---

(٤٠) الاغانى ٣/١٥ والاصابة ٢/٥٨ رقم [٢٩٠٨] .

(٤١) ديوان امية بن ابى الصلت/ ٧٠ والشنتمرى ١/ ١٦٤ .

(٤٢) انظر تفصيل هذه الآراء ، المؤيدة ونقيضها فى : البرهان فى علوم القرآن ١/ ٢٨٧ ، والرسالة/ ٤١ ، والمعرب للجواليقي/ ٤ والاتقان ١/ ١٣٨ ومقدمة ابن عطية/ ٢٧٧ .

(٤٣) روح المعانى ١٢/ ٥٧ .

(٤٤) اللغات فى القرآن ، صفحة/ ٣٠ .

(٤٥) اللغات فى القرآن/ ٣١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تحدى بآية واقصر سورة من القرآن ، مصاقع[١] الخطباء من العرب[٢] العرباء فى اشرف البلدان[٣] ، فافحم من تصدى للمعارضة من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان ، والصلاة والسلام على من علا وغلب على المكابرين المعارضين فيما نزل من الفرقان ، وقد علّق فصحاؤهم[٤] القصائد السبع على باب الكعبة واشاروا اليها بالبنان ، فقالوا ورب الكعبة لا ننزلها حتى نطّلع على ما هو أفصح منها معاندين فى أوضح البرهان ،.

ولما نزل قوله تعالى : «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعى»[٥] . الى آخر ما نزل فى بيان شأن الطوفان لم يبق لهم سبيل الى المعارضة باللسان ، ولا الى المنازعة بالجنان ، فانزلوا قصائدهم السبع بايديهم معترفين بغلبة بلاغة القرآن ، بحيث لم يقدر على اتيان مثله انس ولا جان ، فصاروا مفحمين عاجزين على معارضة الرسول المؤيد بتأييد الصمد المستعان ، وبعد : فيقول الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عمر الاسبرى ، الراجى

---

(١) مصاقع . جمع مصقع : بكسر الميم وسكون الصاد ، الخطيب القوى العارضة ، المنوه .

(٢) العرب العرباء : الصرحاء الخلص ، ويقال العاربة ، والمستعربة ، الدخلاء ، فيهم .

(٣) اشرف البلدان : يريد بها أم القرى ، مكة المكرمة .

(٤) اشارة الى تعليقهم المعلقات السبع الطوال ، على باب الكعبة ، رواية ، وبذلك سميت بالمعلقات ، انظر ذلك فى العقد الفريد ٣/٩٨ والعمدة ١/٦١ ومقدمة ابن خلدون صفحة/٥٨١ ، وخزانة البغدادى ١/٨٩ ونزهة الالباء للانبارى صفحة/٢٣ ، ط/بغداد ، وقد شكك فى هذه الرواية جمهرة ، اكثرهم اعتدالا ، هو حجة العرب وامام الادب المرحوم مصطفى صادق الرافعى ٣/١٩٣ ، وانظر للتفصيل / كتاب معلقات العرب ، للدكتور بدوى طبانه ، صفحة ٢٠ .

(٥) الآية/٤٤ ، سورة هود .

من مولاه لطفه الخفى والجلى ، لما كانت تلك الآية ، معجزة لاصحاب القصائد العديدة ، وغيرهم من الاقوام العنيدة ، لاشتمالها على بلاغة بالغة الى الغاية ، وفصاحة صاعدة الى النهاية ، أردت ان اذكر فى بيانها ما اختاره أهل البيان ، واجمع لايضاح معانيه ما ذكره أهل المعانى والتفاسير من أولى التبيان ، كالزمخشرى[٦] ، والبيضاوى[٧] ، والسكاكى[٨] ، وسعدالدين[٩] والسيد الشريف[١٠] ، وغيرهم من ذوى العرفان •

---

(٦) الزمخشرى ، هو محمود بن عمر الخوارزمى ، جار الله ، من أئمة اللغة والدين والادب والتفسير ، ولد سنة ٤٦٧هـ فى زمخشر (من قرى خوارزم) وتوفى فى الجرجانية سنة ٥٣٨هـ ، اشهر آثاره : الكشاف ، فى تفسير القرآن العظيم ، واساس البلاغة والفائق ، وربيع الابرار ، وغيرها ، انظر عنه : ابن خلكان ٢/٨١ وارشاد الاريب ٧/١٤٧ ولسان الميزان ٦/٤ و والاعلام ٨/٥٥ وافرده بالتأليف من المعاصرين ، جمهرة منهم : الدكتور احمد محمد الحوفى ، (الزمخشرى) ومصطفى الجوينى (منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن) وكلاهما مطبوع ، والدكتور فاضل السامرائي (الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى نال به درجة الدكتوراه) •

(٧) البيضاوى : ناصر الدين عبدالله بن عمر ، ولد فى المدينة البيضاء ، وتوفى فى تبريز سنة ٦٨٥هـ ــ على رواية ــ واشهر آثاره : انوار التنزيل واسرار التأويل ــ تفسيره ويعرف بـ تفسير البيضاوى ، مطبوع مشهور ، انظر عنه : المستدرك على الكشاف ٣٠ •

(٨) السكاكي : يوسف بن ابى بكر بن محمد ، الخوارزمى ، من علماء العربية ، مولده بخوارزم سنة ٥٥٥هـ ، وبها توفى سنة ٦٢٦هـ ــ اشهر آثاره : مفتاح العلوم ــ فى علوم العربية ، مطبوع مشهور ، وللدكتور احمد مطلوب ــ من المعاصرين ــ كتاب فيه اسمه : البلاغة عند السكاكى ، طبع ببغداد سنة ١٩٦٤م ، نال به درجة الماجستير ، وانظر عنه : ياقوت الحموى ٧/٣٠٦ ، وشذرات الذهب ٥/١٢٢ وبغية الوعاة ٢/٣٦٤ Brock. I: 352, S: I: 515 والاعلام ٩/٢٩٤ •

(٩) سعدالدين : هو سعدالدين بن مسعود التفتازانى ، من علماء العربية ، اشهر آثاره ، المطول اشرح به كتاب تلخيص المفتاح للقزويني المتوفى/٧٣٩هـ ، وهو مطبوع مشهور ، توفى فى سنة/٧٩٢هـ ، انظر عنه : المستدرك على الكشاف صفحة/٢٦١ ومعجم المطبوعات ١/٦٣٧ •

(١٠) السيد الشريف : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الحنفى ، مولده بجرجان سنة/٧٤٠هـ ، ووفاته بشيراز سنة ٨١٦هـ ، من علماء

فهذه رسالة جودية ، فى تفسير آية الجوري ، لسفينة نوحية ، جعلتها شذرة كعرضة[١١] ، لنظرة بلحظة من حضرة ومن حضرة ، بلذة ونضرة هما الصدر الأعظم ، وولى النعم الاكرم ادامها الله العلي الارحم ، راجيا من كرمهما ان يلقيا الفرح الوفير ، الى فؤاد هذا الفقير ، بمساعدة المرام وتحسين الكلام ترغيبا للناظرين وتأييدا للراغبين ، لتعلق هذه الرسالة ، بتفسير آية الوصالة ، وهى آية معجزة لرؤساء الفصحاء ، لاسيما ارباب قصائد معلومة للعلماء ، فهى آية بالغة ببلاغتها الى غايتها ، وواصلة بفصاحتها الى نهايتها ، كما يظهر لمن نظر فى هذه الجودية من بدايتها الى تمام عبارتها وعنايتها ، حتى يظهر روايتها ودرايتها •

واذا صدر من حضرتين أعظمتين ، كريمين معظمين ، قبول حسن جميل مع جزاء جزيل ، هو مساعدة المرام بجود جليل ، لجودية مفيـدة وحمدية منيرة ، لظهر نور على نور ، وسرور بعد سرور ، لهذا الفقـير المترقب الى حبور ، ومن المتعارف المعلوم ، عند ارباب الرسوم والعلوم ، ان تحسين الرسائل وتعويض الوسائل عادة جميلة قديمة ، وخصلة جليلـة حميدة ، فغاية آمالى ونهاية فرح بالى ، هو القبول العالى لترغيب نظـــر الاعالى ، فى رسالتنا هذه وهى من العوالى ، فيا مفرح الفؤاد انلنا الى المراد ، آمين آمين ، لا أرضى بهما حتى اضيف اليهما الف آمين •

ثم أقول ، وبمنطوق ما ورد[١٢] : ان المؤمن لا يخلو عن علة وقلة وذلة ، عرض لي علة ضعف القوة السامعة ولذا اخترت الوحدة فى زاوية داري ولم اخرج الى زيارة العلماء المحترمين مذ زمان مديد لان صحة القوة

العربية ، له آثار فى البلاغة ، والكلام ، والفقه ، والتفسير ، جلها مطبوع ، انظر عنه : المستدرك على الكشاف صفحة ١٦٤ ، والكشاف صفحة ١١٨ •

(١١) شذرة : واحدة ، الشذر ، معروف ، وعرضة : بفتح العين ، ما يعرض للانتقاء ، وعرضة : بضم العين : القوية ، يقال : فرس عرضة ، قوية •

(١٢) لم اقف على هذا الحديث فى كتب السنة الشريفة المعتبرة •

السامعة ، شرط للصحبة النافعة ، فبقيت في زاوية النسيان ، نسيا منسيا في طاق الهجران ، لهذا العذر المانع ، من اللقاء النافع ، وبعد مرور السنين ، ناداني سري بنداء الحزين ، فقال ، ألم تعلم ان رئيس العلماء ، وكريم الفضلاء ، وحليم النجباء ، أعني به سمي النبي الحليم ، خليل الخبير العليم ، حضرة ابراهيم السليم[١٣] ، قد امتاز ذلك السمي الكريم ، من بين العلماء الكرام ، والفضلاء الفخام ، حيث كان له قلب سليم حليم ، وطبع كريم رحيم ، وفؤاد جواد فخيم ، فقبّل طرف ذيل عناية ذلك الكريم الفخيم ، فقلت لسري في الجواب ، اني فقير ذو عذر مانع من اللقاء للاحباب ، فكرر النداء والح بالقول الصواب ، فقال قبّل البتة[١٤] طرف ذيل كرامة ذلك السمي الحليم الكريم ، واعتذر عنده فلعله يقبل عذرك اذ هو السليم الرحيم ، فاردت ان اقبّل طرف ذيل فخامته ، ولكن قد قدمت رجلا واخرت اخرى ، استحياء من جنابه العالي ، حيث لم اذهب الى مجلسه الشافي مذ زمان مديد لعذر قد سبق ذكره ، فقال لي سري ايضا الم تعلم انه ذو مروءة لا يخيّب اصحاب الرسائل ، وانه صاحب كرامة ومرحمة لا يؤيس ارباب الوسائل ، فاتكأت على جلائل اوصافه الجميلة ، واعتمدت على دلائل اخلاقه الحميدة ، فاتخذت هذه الرسالة من بين رسائلي العديدة ، وسيلة الى زيارته السليمة ، رجاء من كرمه الشافي ، ان يقبل من هذا الفقير عذره الوافي ، وكرم الكريم للفقير مبذول • والعذر عند كرام الناس مقبول[١٥] ، وانما اعتذرت في حضوركم بلسان القلم ، لان لسان القلم أنطق من لسان الفم ، اذ الاول يؤول الكلام في الوحدة طولا وعرضها ،

---

(١٣) لم اوفق الى ترجمة •

(١٤) البتة : مصدر منصوب لفعل مقدر ، ولام التعريف في أوله للعهد ، اذ تقديره : افعل هذا البتة ، والتاء في آخره للوحدة ، وهو مصدر ثلاثي من بت ، يبت •

(١٥) عجز بيت ، من الامثال السوائر •

والثانى انما يثنى فى الحضور ايماءً ورمزا ، الا وهو رئيس العلماء ابن **رئيس الوزراء** ، **لا زال الزمان مفتخرا بوجوده** ، وما برح الانام مغتنمـا بلطفه وجوده ، جعل الله تعالى اياه دائما فى وقايته ، وسالما فى حمايته ، مع اولاده الامجاد ، امدهم الله ذو المجدْ والامداد ، وابقى ذريتهم الى يوم التناد ، ما بقى ذرية بنى آدم فى البلاد ، ومن المعلوم انه كان لـه رأى صائب صواب ، وفكر ثاقب بلا ارتياب ، وله حسن خلق كضرب مثل سائر فى الاطوار ، ما دام الفرقدان[16] ، وما دار الفلك الدوار ، ومعلوم ايضا ان حسن الخلق رئيس سائر الاخلاق الحميدة ، كالشمس من بين النجوم العديدة ، كيف لا وقد قال الله تعالى فى مدح رسوله الحليم[17] : « وانك لعلى خلق عظيم » الا وهو فى الحقيقة فائق على اقرانه الفاضلين ، فى كثير من الخصال المرضية لدى كل منصف من الغائبين والحاضرين ، ولقد يعترف بكل ما قلنا ههنا كل ذى شأن من الكاملين ، كيف لا يعترف وقد صب سجال[18] جوده من سماء وجوده ، على فقراء المصنفـين وضعفـاء المؤلفين ، وهو عالم ذو تمييز كامل ذو تبيين ، منصف بانصاف تام ، مشفق على الخاص والعام ، ومع هذا قد كان وجوده ذو الجود نعمة على ارباب التأليف ، وكان دوامه ايضا رحمة على اصحاب التصنيف ،فيا ايها الناظرون فى مقالتنا ، ويا ايا العارفون بعبارتنا ، ادعوا ثم ادعوا عن صميم بالـكم ، مع خلوص قالكم ، على احسن حالكم ، ببقاء هذا المتخلق بخلق عظيم ، بتوفيق الله ، وهو مصداق قوله عليه السلام : « تخلقوا بأخلاق الله » •

فهنيئا له دعاء أرباب الكمال من عباد الله ،وهو كريم رحيم حليم سليم بتوفيق الله ، وهو يعرف مقادير ارباب الحيثية بنور فراسته فاظن انه

---

(١٦) الفرقدان : الشمس والقمر ، قال عمرو بن معدى كرب الزبيدى :

وكل أخ مفارقه أخوه   لعمر ابيك الا الفرقدان

(١٧) الآية ٤ سورة القلم •

(١٨) السجال : الدلو العظيمة •

ولي الله ، فيساعد في مرامهم بموجب كرم طبيعته الموهوبة له بهبة الله ، ومن اعظم خصاله الجليلة الجميلة المرضية عند الله ، وعند كافة عباد الله ، انه لا يخيب اصحاب الرسائل ، بل يساعد في مقصــودهم بتوفيــق الله ، ويفخمهم فوق مقاديرهم وهو الفخيم ، ويحسنهم ازيد من مأمولاتهم وهو الكريم ابو الكريم ، فكم من عالم ينشرح صدره في داره هو مدار ارباب الكمال . وكم من مضطر ينشرح صدره في دار مروءته هو محل نزول فيوضات ذي الجمال ، فباب دار مرحمته مفتوح لاصحاب الرسائل ، ودار مقر مروءته مشروح لارباب الوسائل ...

ها أنا اشرع في المقصود ، بعون الله الملك المعبود ، فاقول قال الله سبحانه وتعالى : « وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين .. »[٢٠] .

قال العلامة التفتازاني والسيد الجرجاني ، روي انهم قد علقوا القصائد السبع على باب الكعبة وقالوا لا ننزلها حتى نطلع على ما هو أفصح منهـا وكانوا يعاندون في أفصحية ما ينزل من آيات القرآن[٢١] ، حتى نزلت هذه الآية الكريمة ، فلم يبق لهم طريق الى العناد والمكابرة بل اذعنوا لها لما ادركوا من كمال بلاغتها ما غلب على كل كلام بليغ .، وقد اشار السكاكي الى هذه القصة بقوله (ثم ان ساعدك الذوق ادركت منها اى من تلك الآية ما قد ادرك من تحدوا بها)[٢٢] اهـ .

وسيجيء التفصيل ، ان شاء الله تعالى ، وقال الامام محيي السنة[٢٣]

---

(١٩) الحديث في
(٢٠) الآية ٤٤ سورة هود .
(٢١) انظر ابن هشام ١/٢٩٠ ـ ٢٩٣ .
(٢٢) مفتاح العلوم صفحة ٢٢١ .
(٢٣) محيى السنة : هو الامام البغوى ، الحسين بن مسعود ، من ائمة التفسير ، والفقه والحديث . توفى بمرو الروز (من مدن خراسان) سنة ٥١٦هـ ـ اشهر آثاره تفسيره المعروف بـ (معالم التنزيل) ـ مطبوع

في معالم التنزيل ، ان افصح قريش واعلمهم بالشعر والسحر والكهانـة أبا الوليد عتبة بن ربيعة ، قد اقر بكمال بلاغة القرآن واعجازه جميع البلغاء حيث قال عند قومه والله انى لقد سمعت كلاما ليس هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يعلو ولا يعلى ، وذلك حين نزلت سورة حم السجدة ، واستمعها ابو الوليد من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتفصيله على ما روى محيي السنة باسناده الى عبدالله بن جابر بطـريق ، والى محمد بن كعب القرظى بطريق آخـر وقـد جمـع بـين الطــريقين صاحـب عرائس القرآن ونفائس الفرقان فقـــال ، روى ان النبي عليه[٢٤] الســلام قرأ سورة حم السجدة على كفار قريش حين اسلم عم النبي حمزة رضى الله تعالى عنه ، وكان سبب اسلامه ، ان النبي كان يوما بعد مبعثه جالسا على الصفاء ، اذ جاءه ابو جهل اللعين فشتمه وسبه ، ونال من عرضه ما يريد وعاب دينه واستضعفه ، والنبي عليه السلام ساكت وكانت حينئـذ مولاة عبدالله بن جدعان[٢٥] حاضرة هناك ، فحصل لها رقـة القلب ، فحزنت لغيرتها للنبي عليه السلام ، ثم ذهب ابو جهل اللعين الى النادى فى الحرم ، وهو المجلس للمشاورة وغيرها ، وذهب النبي عليه السلام حزينا الى بيته الشريف واتفق حينئذ ان جاء حمزة عم النبي عليه السلام من القنص والصيد

مشهور ، انظر عنه : طبقات السبكى ٢١٤/٤ ، تذكرة الحفاظ ٥٢/٤ ، مرآة الجنان ٢١٣/٣ ، ابن خلكان ٤٠٢/١ وكحالة ٦٢/٤ ، ولم اجد هذا الخبر فى (معالم التنزيل) المطبوع ولا فى النسخة المخطوطة .

(٢٤) انظر هذا الكلام فى سيرة ابن هشام ٢٩١/١ والاشارة الى سيرة سيدنا محمد ــ مخطوط ــ للحافظ علاء الدين مغلطاى ، والصلات والنشر في الصلواة على خير البشر ــ مخطوط ــ لمجد الدين الفيروزابادي .

(٢٥) عبدالله بن جدعان : التيمي القرشي ، احد الاجواد المشهورين فى الجاهلية ، أدرك النبى محمد صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، واخباره كثيرة ، انظرها فى : الاغاني ٣ و ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، والبغدادى ٥٣٧/٣ والسيرة لابن هشـــام ٢٩١/١ والاعلام ٢٠٤/٤ .

وقد كان قانصا صياداً ، فرأته المولاة المذكورة فاخبرته بالجهل الذى جاء به أبو جهل محمدا عليه السلام فغضب حمزة واخذته غيرة لما أراد الله تعالى اسلامه فجاء حمزة النادى ، فرأى هناك ابا جهل في وسطه فقال : يا ملعون لم تجهل على ابن أخـــى ، وأنـا قـد دخلـت دينـه وقلت مـا قالـه ، فضرب رأس ابى جهل ، فشجه[٢٦] شجة منكرة ، فغضب صناديد قريش فسكتهم ابو جهل وقال : الجرم فيَّ لدفع الفتنة ، ثم جاء حمزة محمدا عليه السلام فاظهر اسلامه ، ثم في غد ذلك اليوم حضر قريش ناديهـم وتكلموا فى اسلام حمزة ، وتأسفوا عليه ، ثم قال ابو جهل اللعين ، لـو طلبنا رجلا عالما بالشعر والسحر والكهانة فذهب الى محمد ، فجاءنا ببيان من أمره فان أمره قد التبس[٢٧] علينا ، فقال عتبة بن ربيعة ، انا اعلم قريش بالشعر والسحر والكهانة ، فانا اذهب اليه فاتيكم ببيان من أمره ، فقالوا : اذهب اليه يا ابا الوليد •• وحينئذ كان النبى عليه السلام جالسا فى المسجد بعيدا عنهم فجاءه عتبة فقال ، يا محمد ، قد علمنا شرفك فى النسب والحسب انت افضلنا واعقلنا لكن ما جئت به قومك ما جاء أحد بمثله قومه ، فرقت جمعنا وعبت الهتنا وسفهت احلامنا وضللت آباءنا ، فان كان ميلك الى الرياسة عقدنا لك الالوية حتى تكون رئيسنا وان كان ميلك الى المال ، جمعنا لك ما تستغنى انت وعقبك بعدك • وان كان ميلك الى الباءة زوجناك من عشرة بيوت من قريش ما تشتهى ، وان كان ما فيك اثرا من الجن طلبنا لك الطبيب يداويك وان كان يجيش صدرك بالشعر فذلك أمر فى بني عبدالمطلب ، فقال النبي عليه السلام : افرغت يا ابا الوليد ، ؟ قال ، عتبة ، نعم فرغت ، فتكلم انت ، فقرأ النبي عليه : حم السجدة ، وكان عتبة يستمع ملقيا يديه على خلفه ، ولما بلغ النبي عليه السلام الى قوله تعالى : « فان اعرضوا فقل

---

(٢٦) سيرة ابن هشام ١/٢٩٢ •
(٢٧) انظر هذا الخبر فى سيرة ابن هشام ١/٢٩٣ ــ ٢٩٦ •

انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »[٢٨] • جعل عتبة يده قطعها الله على فم النبي عليه السلام ، يسكته فناشده بالرحم خوفا ان ينزل بهم العذاب لانه يعلم ان محمدا عليه السلام ، اذا قال شيئا لم يكذب ، فرجع عتبة الى قومه ، فقال بعضهم لبعض حين رأوه والله ، لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس عندهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد ؟، فقال ، ورائى انى سمعت كلاما والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يعلو ولا يعلى يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكون لقوله نبأ عظيم ، فان قتلته العرب كفيتم ، وان غلب هو على العرب فعزه عزكم ، وشرفه شرفكم ، فقال ابو جهل اللعين ، لقد سحرك والله يا ابا الوليد ، فقال عتبة هذا رأيي لكم فاعملوا بما عندكم ، ثم اعلم : ان الفاضل[٢٩] الطيبى ، قال فى شرح المشكاة ، فى باب فضائل سيد المرسلين[٣٠] ، اعلم ان كل نبي قد اختص بما يثبت به دعواه من خارق العادة بحسب زمانه فاذا انقطع زمنه انقضت تلك المعجزة ، كقلب العصا ثعبانا فى زمن موسى عليه السلام ، واخراج اليد البيضاء لان الغلبة فى زمنه للسحر ، فاتاهم بما هو فوق السحر من المعجزة ، فاضطر بهم الى الايمان ،وفى زمن عيسى عليه السلام،

---

(٢٨) الآية ١٣ سورة فصلت •

(٢٩) الفاضل الطيبى : هو شرف الدين ، الحسين بن محمد بن عبدالله ، الطيبى ، من علماء ، الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والحساب ، توفى سنة ٧٤٣هـ • وشرح المشكاة هو : الكاشف عن حقائق السنن النبوية ، شرح به كتاب ، مصابيح السنة للامام البغوى ، وهو مخطوط ، لم يطبع بعد ، منه المجلد الاول ومجلد آخر ، محفوظان فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، ارقامها [٢٤٨٧ ، ٢٨٠٤ ، ١٠١٨٨] – انظر ، الدرر الكامنة ٢/٦٨ وبغيةالوعاة ٢٢٨ ، وكشفالظنون ٢/١٧٠٠ ، والكشاف ٤٦ وكحالة ٤/٥٣ ، والمستدرك ٤٠ •

(٣٠) شرح المشكاة – مخطوط – باب فضائل سيد المرسلين رقمه (٢٨٠٤) – مكتبة الاوقاف العامة ببغداد •

الغلبة للطب فاناهم بما هو اعلى من الطب ، وهو احياء الموتى ، وابراء الاكمه[٣١] والابرص ، وفي زمن رسولنا عليه السلام ، الغلبة للبلاغة والفصاحة ، فجاء بالقرآن ، وابطل الكل ، وقد بقي الى يوم القيامة في كل قطر من أقطار الارض فلا يختص بمكان ولا زمان ، فلذا صار متبعوه اكثر[٣٢] ، واذا علم ما سبق مما يناسب بالمقصود فليسمع ما يفيد المقصود من تفصيل السكاكي ما اجمله صاحب الكشاف والبيضاوي في تلك الآية الكريمة ، اعني قوله تعالى : « وقيل يا ارض ابلعي ماءك » الى اخره ..

قال في مفتاح العلوم[٣٣] : واذ قد وقفت على البلاغة و (عثرت) على الفصاحة المعنوية واللفظية ، فانا اذكر على سبيل الانموذج ، آية اكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك ، ثم ان ساعدك الذوق ادركت منها ما قد ادرك من تحدوا بها ، وهي قوله تعالى[٣٤] : « وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » . والنظر في هذه الآية الكريمة من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني ، وهما مرجعا البلاغة ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية ، اما النظر فيها من جهة علم البيان ، وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها .

فنقول وبالله التوفيق ، ان الله تعالى لما اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء ، فغاض ، وان نسوى السفينة على الجودي

---

(٣١) الاكمه : الذى يولد مطموس العين ، وقد يقال لمن تذهب عينه .
(٣٢) دلائل الاعجاز ٣٦٥ .
(٣٣) مفتاح العلوم صفحة ٢٢١ .
(٣٤) في المفتاح : علت كلمته .
(٣٥) في المفتاح : انه عز سلطانه .

فاستوت وابقينا الظلمة غرقى ، بنى الكلام على تشبيه[٣٦] بالمراد بالمامور الذى لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته تعالى[٣٧] ايجادا واعداما ولمشيئته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، وتصوروا مزيد اقتداره فعظمت مهابته في نفوسهم وضربت سرادقها في أفنية ضمائرهم ، فكما يلوح لهم اشارته كان المشار اليه مقدما وكما يرد عليهم أمره كان المأمور به متمما لا تلقى لاشارته بغير الامضاء والانقياد ولا لامره بغير الاذعان والامتثال ، ثم بنى على تشبيه[٣٨] هذا نظم الكلام ، فقال جل وعلا قيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد[٣٩] وهو ، يا ارض ويا سماء ، ثم قال ، كما ترى يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغؤور الماء في الارض البلع الذى هو اعمال مجازية في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفى ، ثم استعمال الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوى الاكل بالطعام ، وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ، ثم أمر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب في الامر ترشيحا لاستعارة النداء ، ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال

(٣٦) في المفتاح : تشبيه المراد .
(٣٧) في المفتاح : ساقطة لفظة تعالى .
(٣٨) في المفتاح : تشبيهه .
(٣٩) لفظة الجماد ساقطة من المفتاح .

الماء بالارض باتصال الملك بالمالك ، واختار ضمير الخطاب لاجل الترشيح[٤٠] ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ، ثم أمر على سبيل الاستعارة وخاطب فى الامر ، قائلا : اقلعى لمثل ما تقدم فى ابلعى ، ثم قال : وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا ، ولم يصرح عن غاض الماء ، و (لا) بمن قضى الامر ، وسوى السفينة وقال بعدا ، كما لم يصرح بقائل ، يا ارض ويا سماء فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك لسبيل الكناية ، ان تلك الامور العظام ، لا تتأتى الا من ذى قدرة لا يكتنه قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم الى ان يكون غيره جلت عظمته قائل يا ارض ويا سماء ولا غائض (مثل) ما غاض ولا قاضى مثل ذلك الامر الهائل (او) وان تكون تسوية السفينة واقرارها بتسوية غيره واقراره ، ثم ختم الكلام بالتعويض تنبيهـا لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه وان قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت الا لظلمهم ٠

واما النظر فيها من جهة[٤١] علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا[٤٢] دون سائر اخواتها لكونها اكثر فى الاستعمال وانها دالة على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شأن العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى الموذن بالتهاون به ، ولم يقل يا ارض بالكسر لامتداد التهاون ولم يقل يا ايتها الارض لقصد الاختصار مع الاحتراز عما فى ايتها من تكلف

---

(٤٠) الترشيح : هو ان يؤتى بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها لذلك ، وهو يعم الاستعارة والطباق وغيرها من ابواب البديع ، ــ انظر مبحثه مفصلا فى : اسرار البلاغة ٢٥٧ وتحرير التحبير ٢٧١ وخزانـــة الادب لابن حجـــة الحموى ٣٧٢ وانوار الربيـــع ٧٦٧ ٠

(٤١) فى المفتاح : حيث ٠

(٤٢) سقطت فى المفتاح ٠

التنبيه الغير[٤٣] المناسب للمقام ، واختير لفظ الارض دون سائر اسمائها لكونه اخف وادور ، واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في الارض مع قصد المطابقة وستعرفها ، واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء[٤٤] التجانس بينه وبين اقلعي أوفر وقيل ماءك بالافراد دون الجمع لما كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأبى عنها مقام اظهار الكبرياء والجبروت وهو الوجه في افراد الارض والسماء ، وانما لم يقل ابلعي بدون المفعول ان لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء باسرهن نظرا الى مقام ورود الامر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم اذ بين المراد اختصر الكلام مع اقلعى احترازا عن الحشو المستغنى عنه ، وهو الوجه في ان لم يقل : قيل يا ارض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء اقلعى فاقلعت واختير غيض على غيض المشدد لكونه اخصر ، وقيل الماء دون ان يقال ماء طوفان السماء وكذا الامر دون ان يقال أمر نوح وهو انجاز ما كان الله تعالى وعد نوحا من هلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك ، ولم يقل سويت على الجودى بمعنى اقرت على نحو قيل وغيض وقضى في البناء للمفعول اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله تعالى : وهي تجرى بهم (في موج) مع قصد الاختصار في اللفظ ، ثم قيل بعدا للقوم دون ان يقال ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاخصار وهو نزول بعدا منزلة ليبعدوا بعدا مع فائدة اخرى وهي[٤٥] استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى ان البعد احق لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل ، هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم ، واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل ، فذلك انه قدم النداء على الامر ،

---

(٤٣) في المفتاح ، غير ، بدون أل التعريف .
(٤٤) في المفتاح : خط التجانس .
(٤٥) في المفتاح : وهو .

فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ، دون ان يقال ، ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء ، جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقـديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبـه فى نفس المنـادى قصـــدا بذلك لمعنى الترشيح ، ثم قدم امر الارض على امر السماء وابتدىء به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة منزلة الاصل ، والاصل بالتقديم اولى ، ثم اتبعهما قوله ، وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء واخذه بحجزتها(٤٦) ، الا ترى ان(٤٧) اصل الكلام ، قيل ، يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ماءها ويا سماء اقلعي عن ارسال الماء ، فاقلعت عن ارساله وغيض الماء النازل من السماء فغاض ، ثم اتبعه ما هو المقصود م نالقصة وهو قوله تعالى : «وقضى الامر» ٠ اى انجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاح(٤٨) نوح ومن معه فى السفينة ، ثم اتبعه حديث السفينة ، وهو قوله : « واستوت على الجودى » ، ثم ختمت القصة بما ختمت هذ كله نظر فى تلك لاية لكريمة من جانبي البلاغة ٠

واما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد ، بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجدت الفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق الفاظها ، فما من لفظة فى تركيب الايـة ونظمها تسبق الى اذنك الا ومعناها اسبق الى قلبك ، واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة على التنافر بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات ، سلسلة(٤٩) على الاسلات ، كل منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة ، ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من

---

(٤٦) الحنجرة : معقد الشىء ٠
(٤٧) ان ، سقطت من المفتاح ٠
(٤٨) في المفتاح : انجاء ٠
(٤٩) فى المفتاح : سليسة ٠

آياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الاية الكريمة[٥٠] المذكورة مقصورة على ما ذكرت (من اربع جهات ، من جهة علم البيان والمعانى ، والفصاحة المعنوية واللفظية ، وقد علمت تفصيل كل منها)[٥١] فلعل ما تركت اكثر مما ذكرت لان المقصود لم يكن الا مجرد الارشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعانى والبيان ، وان لا علم فى باب التفسير بعد علم الاصول اقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه ، ولا اعون على تعاطى تأويل مشتبهاته ، ولا انفع فى درك لطائف نكته واسراره ، ولا اكشف للقناع عن وجه اعجازه ، وهو الذى يوفى كلام رب العزة من البلاغة حقه ، ويصون له فى مظان التأويل ماءه ورونقه ، ثم مع ما لهذا العلم من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر لا ترى علما لقى من الضيم ما لقي ، ولا مني من سوم الخسف بما مني ، اين الذى مهد له قواعد ورتب له شواهد ، وبين له حدودا يرجع اليها ، وعين له رسوما يعرج عليها ووضع له اصولا وقوانين ، وجمع له حججا وبراهين ، وشمر لضبط متفرقاته ذيله ، واستنهض فى استخلاصها[٥٢] رجله وخيله ، علم تراه ايادى سبا ، فجزء حوته الدبور ، وجزء حوته الصبا ، انظر باب التحديد ، فانه جزء منه فى ايدى من هو ، وانظر باب الاستدلال ، فانه جزء منه فى ايدى من هو ، بل تصفح معظم ابواب اصول الفقه ، من اى علم هى ، ومن يتولاها وعد وعد ، ولكن الله جلت حكمته اذ وفق لتحريك القلم فيه عسى ان يعطى القوس باريها بحول ، منه عز سلطانه ، وقوة فما الحول والقوة الا به ، واذ قد تقرر ان البلاغة بمرجعيها ، وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه اعلى درجات التحسين فههنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا ان نشير الى الاعرف منها ، وهى قسمان ،

(٥٠) سقطت لفظنا (الكريمة المذكورة) .
(٥١) بين قوسين لم يرد فى المفتاح متسلسلا .
(٥٢) فى المفتاح : من الايدى .

قسم يرجع الى المعنى وقسم يرجع الى اللفظ[٥٣] .

فمن القسم الاول : المطابقة ، وهى ان تجمع بين مضادين كقوله[٥٤]:

أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات واحيا والذى أمره الامر

وكقوله علت كلمته « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »[٥٥] .

ثم اعلم ان تلك الآية الكريمة المذكورة لما حوت البلاغة والفصاحتين المعنوية واللفظية على الوجه الاكمل والاتم ناسب اكمال ايضاح كل منها ، فليسمع ايضا ما ذكره السكاكى فى المفتاح قال فيه[٥٦] : البلاغة هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

ولها ، اعني للبلاغة ، طرفان ، أعلى واسفل ، متباينان تباينا لايتراءى له ناراهما ، وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة ، فمن الاسفل تبتدىء[٥٧] البلاغة ، وهو القدر الذى اذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه من اصوات الحيوانات ، ثم تأخذ فى التزايد متصاعدة الى ان تبلغ حد الاعجاز ، وهو الطرف الاعلى كما فى تلك الاية الكريمة ، ثم اعلم ، ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك

---

(٥٣) المطابقة ، وتسمى الطباق والتكافؤ والتضاد ، انظر ، الفوائد لابن قيم الجوزية ١٤٥ .

(٥٤) البيت لابى صخر الهذلي من قصيدة مطلعها :

لليلى بذات البين دار عرفتها ... واخرى بذات الجيش آياتها عفر

انظر : شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٦ .

(٥٥) الى هنا ينتهى كلام السكاكى فى المفتاح . وانظر ، الايضاح صفحة ٢٤٠ والآية ٢٦ سورة آل عمران .

(٥٦) المفتاح صفحة ٢٢٠ .

(٥٧) كذا فى المفتاح والاصل : تبدء .

ولا يمكن وصفها ومدرك الاعجاز عندى هو الذوق ليس الا ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين ، نعم للبلاغة وجوه متلثمة ربما تيسرت اماطة اللثام عنها لتجلى عليك واما نفس وجه الاعجاز فلا ، واما الفصاحة[٥٨] فهي قسمان ، راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد ، وراجع الى اللفظ وهو ان تكون الكلمة عربية اصلية ، وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها اكثر لا مما احدثها المولدون ، ولا مما اخطأت فيها العامة ، وان تكون اجرى على قوانين اللغة وان تكون سليمة عن التنافر ، والمراد بتعقيد الكلام هو ان يعثر صاحبه فكرك فى متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك الى ان لا تدرى من اين تتوصل وبأى طريق معناه يتحصل كقول الفرزدق[٥٩] :

وما مثلـه فى الناس الا مملكا ... أبـو أمه حي أبوه يقاربـه

وكقول أبى تمام[٦٠] :

ثانية فى كبد السماء ولم يكن ... كاثنين ثان اذ هما فى الغـار

وغير المعقد ، هو ان يفتح صاحبه لفكرك[٦١] الطريق المستوى ويمهده وان كان فيه معاطف نصب عليه المنار ، واوقد الانوار حتى تسلكه سلوك المتين لوجهته ، وتقطعه قطع الواثق بالنجح[٦٢] فى طيته انتهى كلام المفتاح بعين عبارته[٦٣] .

وقد اجمل الزمخشرى ، مضمون تفصيل السكاكى فى تلك الاية

---

(٥٨) انظر البيان والتبيين ١/٨٨ والمطول ١٦ .
(٥٩) ديوان الفرزدق ١/٣٠٨ والمطول ٢١ واسرار البلاغة صفحة ٦٦ طبعة ريتر .
(٦٠) ديوان ابى تمام الطائي (٢/٢٠٧) .
(٦١) فى المفتاح : فكرتك .
(٦٢) فى المفتاح : بالبجح ، وهو تصحيف .
(٦٣) المفتاح صفحة ٢٢١ .

الكريمة ، فقال في الكشاف[٦٤] ، نودي الارض والسماء في قوله تعالى « وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي » مع كونهما جمادين لا تمييز لهما بما ينادى به العقلاء ، يعني بناء على التشبيه الثاني المذكور ايضا فيما مر اعني تشبيه التكوين بالامر الجزم النافذ ، اقول : ووجه الشبه فيها ما مر مما ذكرناه على التفصيل في السابق ايضا ، قال للدلالة على الاقتدار العظيم، وعلى ان السموات والارض مع عظم جرمهما منقادة لتكوينه تعالى لا يمكن لهما الامتناع ، ووجه الدلالة هو التصوير وتخييل ان هذه الأجرام العظام عند ورود الارادة وتعلقها بها وتعلق التكوين والقدرة لما يشاء فيها كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته تعالى وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليها وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له على الفور فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به حاصلا بلا مكث ولا ابطاء •

وقال في تفسير عرائس القرآن ونفائس الفرقان : ان حاصل ما ذكره صاحب الكشاف : الاستعارة التمثيلية فهذه الاستعارة في مجموع الكلام وما ذكره صاحب المفتاح من الاستعارات كانت في المفردات فلا تنافي بينهما وحاصل الاستعارة التمثيلية تشبيه الهيئة المنتزعة من تعلق ارادة الله تعالى وتكوينه وقدرته بالمراد من الارض اعني النشف ومن السماء اعني حبس المطر ، وسرعة حصول هذين المرادين ووجودهما على الفور من غير امتناع طبيعي من الارض والسماء بالهيئة المنتزعة من ورود امر الامر القهار الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد على المأمور العاقل المميز الذى يهاب ويفزع من الامر ويمتثل لامره حين ما ورد بلا مكث ولا ابطاء كما مر ، ووجه الشبه حصول المراد بسرعة ، ثم قال في الكشاف ، البلع عبارة عن النشف ، وهذا مزية مختصة بالكشاف ، فاما غؤور الماء على ما قال في المفتاح فغير

---

(٦٤) الكشاف ٢/١٠٠ •

مناسب لانه ليس فعل الارض ، ثم قال فى الكشاف ايضا : ولما ذكرنا من المعانى والنكات مع ان ما قاله اقل قليل ، لكنه مجمل ما فصله صاحب المفتاح ، استفصح ، اى عد فصيحا علماء البيان هذه الآية الكريمة ولقصوا(٦٦) لها رؤسهم والحق ان من اطلع على التفصيل الســابق علم فضــل علم المعانى والبيان لانه سبب ظاهر لاطلاع اسرار القرآن والنكات العجيبة والمحسنات البديعة بحيث لا تسع العدّ والحصر(٦٧) ، وقد تمت الرسالة الجودية ، لبيان الآية النوحية ، على يد الجامع الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير ، احوج المدرسين الى كرم القدير ، درسعام بجامع سلطان محمد خان عليه الرحمة والغفران ، سنة ثلاث وسبعين من مائة ثانية لثانى الالفين(٦٨) ، هذا تاريخ التأليف ، واما اتمام التحرير للاهداء ، فقد وقع سنة ثمان وثمانين ومائة وألف ، وقد شرحت هـذا المتن بشـرح مفيد موضح بحيث يتلذذ الناظر تلذذا روحانيا ، وقد نويت تحريره للاهداء ايضا الى حضرة الكريم ابن الوزير اعني به سمي النبي حضرة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، اللهم اجعلنى مسرورا بشفاعة هذا السمي الكريم الحليم لحضرة ولي النعم السليم في حق هذا الفقير لحصول معيشة صحيحة واصلة شهرتها بسهولة وهذا احسان عظيم .

---

(٦٥) الكشاف ٢/١٠٠ .

(٦٦) قوله ورقصوا رؤسهم : اى حركوها لتلك الآية ، وذلك كناية عن اعتنائهم بشأنها واهتمامهم فى بيان نكاتها وبلاغتها وفصاحتها اللفظية والمعنوية .

(٦٧) الكشاف ٢/١٠٠ .

(٦٨) يريد بذلك سنة ١١٧٣هـ .

فهرس المراجع

الاتقان في علوم القرآن – جلال‌الدين السيوطى – القاهرة –

أسرار البلاغة – عبدالقاهر الجرجاني – طبعة دتسير

الاشارة الى سيرة سيدنا محمد – لعلاءالدين مغلطاي ، مخطوط – مكتبة الاوقاف‌العامة برقم [٤٨٤٨] وقد طبع الكتاب ،

الاصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني ، القاهرة

الأعلام – خيرالدين الزركلي – القاهرة ،

الأغاني – ابو الفرج الاصفهاني ، دار الكتب والساسي ،

أنوار الربيع – ابن معصوم – طبعة حجر ، الهند ،

ايضاح المكنون – اسماعيل باشا البغدادى ، تركيا

البحر المحيط (تفسير أبي حيان) – أبو حيان الاندلسي ، القاهرة ،

بغية الوعاة – جلال‌الدين السيوطي ، القاهرة

البيان والتبيين – الجاحظ – القاهرة ،

تأريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان – القاهرة ،

تأريخ الادب العربي – كارل بروكلمان – الطبعة الالمانية ،

تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة ، القاهرة ،

تاج العروس – مرتضى الزبيدى ، القاهرة

تحرير التحبير – ابن ابي الاصبع المصري ، القاهرة

تحفة الأريب – أبو حيان الاندلسي ، حماه

تذكرة الحفاظ	شمس الدين الذهبي ، الهند
تفسير الرازي	القاهرة ،
تفسير القرطبي	القاهرة ، دار الكتب ،
تفسير الطبرسي	صيدا ، لبنان ،
تهذيب مساجد بغداد	الاثري ، بغداد
حديقة الورود ـ مخطوط مصور ـ	الشواف ـ المكتبة المركزية لجامعة
	بغداد ،
خزانة الأدب	عبدالقادر البغدادي ، القاهرة ،
	بولاق ،
خزانة الادب	ابن حجة الحموي ، القاهرة ،
الدرر الكامنة	ابن حجر العسقلاني ، القاهرة ،
	بيروت ،
ديوان امية بن أبي الصلت	القاهرة ، دار المعارف
ديوان أبي تمام الطائي	القاهرة ، دار المعارف
ديوان البحتري	القاهرة ،
ديوان الفرزدق	الشافعي ، القاهرة ،
الرسالة	أبو الثناء الآلوسي ، القاهرة ،
روح المعاني	ابن الجوزي ، دمشق ،
زاد المسير	القاهرة ،
سيرة ابن هشام	ابن العماد الحنبلي ، القاهرة ،
شذرات الذهب	القاهرة ،
شرح أشعار الهذليين	شرف الدين الفاضل الطيبي ،
شرح المشكاة	مخطوط ـ رقم [٢٨٠٤] مكتبة
	الاوقاف العامة ،

الصلات والنشر	مجدالدين الفيروزابادي ، مخطوط ـ مكتبة الاوقاف العامة رقم [٤٨٤٨]
طبقات السبكي	السبكي ، القاهرة ،
العقد الفريد	ابن عبد ربه ، القاهرة ،
العمـدة	ابن رشيق القيرواني ، القاهرة ،
غريب القرآن	السجستاني ، القاهرة ،
الفوائد المشوق	ابن قيم الجوزية ،
فهرس مكتبة ولي	استانبول ،
فهرس مكتبة الفاتح	استانبول ،
في ظلال القرآن	سيد قطب ، بيروت
الكتاب	سيبويه ، بولاق ،
الكشاف	جارالله الزمخشري ، القاهرة ،
كشف الظنون	حاجي خليفة ، استانبول ،
الكواكب السائرة	بدرالدين الغزي ، بيروت
لسان العرب	ابن منظور ، بولاق ،
اللغات في القرآن	أخبر به : اسـماعيل بن عمـرو المقرى ، بسند رفعه الى ابن عباس، القاهرة ، مطبعة الرسالة ،
مجاز القرآن	ابو عبيدة ، القاهرة ،
المسك الاذفر	محمود شكري الآلوسي ، بغداد
المستدرك على الكشاف	عبدالله الجبوري ، بغداد
معجم البلدان	ياقوت الحموي ، القاهرة ،
معجم الأدباء	ياقوت الحموي ، القاهرة ،

معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة ، دمشق ،
معجم المطبوعات	سركيس ، القاهرة ،
المعرب	الجواليقي ، القاهرة ،
مقدمة ابن عطية	القاهرة ،
مقدمة ابن خلدون	القاهرة ،
نزهة الالباء	ابن الانباري ، بغداد
النظم الفني في القرآن	عبدالمتعال الصعيدي ، القاهرة
هدية العارفين	البغدادي الالباني ، استانبول
وفيات الاعيان	ابن خلكان ، القاهرة ،